مناهج التفسير البيبليّ في الكنيسة

الأب أنطوان عوكر

مقدّمة

أبدأ الكلام على وثيقة **التفسير البيبليّ في الكنيسة** بإيراد بعض المبادئ والتوجيهات التي عرضَها المجمع الفاتيكانيّ الثاني في دستورِه العقائديّ **في الوحي الإلهي** والتي عمل على أساسها المجلس الحبريّ للدراسات البيبليّة حتّى يُطوّر مفهوم التفسير البيبليّ في الكنيسة ويُصدِر وثيقته حول المنهجيّات والطُرق التفسيريّة والمُقاربات التي يُمكن لشارحي البيبليا استعمالها.

"أمّا مهمّة تفسير كلام الله، المكتوب أو المنقول، تفسيرًا صحيحًا، فقد أُوكِلَت إلى سلطة الكنيسة التعليميّة الحيّة وحدها، تلك التي تُمارَس باسم يسوع المسيح. على أنّ هذه السُلطة ليسَت فوق كلام الله ولكنّها تخدمه، إذ إنّها لا تُعلّم إلاّ ما استلمته، بحيث أنّها بتكليف من الله وبمعونة الروح القدس تُصغي إليه بتقوى وتحفظه بقداسة وتعرضه بأمانة. ومن وديعة الإيمان الواحدة هذه تنهل كلّ ما تقدّمه من حقائق يجب الإيمان بها كموحاة من الله.

بناء عليه يتّضح أنّ التقليد المقدّس والكتاب المقدّس وسلطة الكنيسة التعليميّة، بتدبير إلهيّ كلّيّ الحكمة، ترتبط ببعضها وتشترك في ما بينها، إلى حدّ أن لا قيام للواحد منها دون الآخَرَين، وإنّها كلّها مُجتمعة، وبحسب طريقة كلّ منها وبتأثير الروح الواحد، تُساهم بصورة فعّالة في خلاص النفوس" (**في الوحي الإلهيّ**، عدد ١٠: "سلطة الكنيسة التعليميّة")(١).

(١) اعتمدنا المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، **الوثائق المجمعيّة** بحسب ترجمة يوسف بشارة وعبدو خليفة وفرنسيس البيسري، طبعة ١٩٨٤ الثانية المُنقّحة.

"ولمّا كان الله يتكلّم في الكتاب المقدّس بواسطة البشر وعلى طريقتهم، وجب على شارح هذا الكتاب، ليتفهّم ما أراد أن يوصلَه الله إلينا، أن ينتبه في تنقيبه إلى ما كان في نيّة الكتّاب القدّيسين أن يُعبّروا عنه حقًّا وإلى ما راق الله أن يُظهره بكلامهم.

... فمِن الواجب إذًا على الشارح أن يُفتّش عن المعنى الذي كان في نيّة الكاتِب المقدّس أن يُعبّر عنه وعبّر عنه حقًّا في الظروف المُعيّنة التي عاش فيها، وفقًا لأوضاع عصره وثقافته بواسطة الفنون الأدبيّة المتداولة إذ ذاك" (**في الوحي الإلهيّ**، عدد ١٢: كيفيّة تفسير الكتاب المقدّس).

"أمّا مفسّرو الكتب المقدّسة الكاثوليك وغيرهُم مِمَّن يهتمّون بدراسة اللاهوت المقدّس، فعليهم أن يتعاونوا بكلّ غيرةٍ، وأن يعملوا تحت إشراف السلطة التعليميّة المقدّسة على التنقيب في الأسفار المقدّسة بالوسائل الملائمة وعلى عرضها، بحيث يستطيع أكبر عدد مُمكن من خدّام الكلمة الإلهيّة، أن يوفّروا بصورة مثمرة لشعب الله قوتَ الكتب المقدّسة، الذي يُنير العقل ويقوّي الإرادة ويُلهِب قلوب البشر بمحبّة الله.

وإنّ المجمع المقدّس يستحثّ أبناء الكنيسة الذين ينكبّون على الشؤون الكتابيّة على أن يُتابعوا ما بدأوا به بنجاح وأن يُكمِّلوه بتجديد قويّ متزايد وباهتمام كلّيّ حسب روح الكنيسة" (**في الوحي الإلهي**، عدد ٢٣: "مهمّة اللاهوتيّين الكاثوليك الرسوليّة").

مِن جهة أخرى، لا بُدّ من نظرة تاريخيّة، وإن سريعة للتنظيم الفاتيكانيّ الداخليّ للمجالس الحبريّة. اللجان الحبريّة هي دوائر أنشأها الباباوات لمساعدتهم في إدارة الكنيسة. هناك لجان أو مجالس تتمتّع بنوع من الاستقلاليّة وهناك لجان مرتبطة بدوائر أخرى. في سبيل تحريك الدراسات البيبليّة والوقاية من مخاطر الانحرافات العقائديّة أنشأ البابا لاوون الثالث عشر سنة ١٩٠٢ المجلس الحَبريّ للدراسات البيبليّة. بالرغم من أنّ هذا المجلس ليس معصومًا فإنّ قراراتِه مُلزمة. يتألّف هذا المجلس من كرادلة ومن مستشارين أخصّائيّين. أصدر هذا المجلس قرارات كثيرة تشمل معظم كتب العَهدَين ومسائل بيبليّة عديدة. سوف تقتصر دراستنا هذه على عرض مضمون الوثيقة الأخيرة التي وضعها هذا المجلس.

نُشر نصّ الوثيقة **التفسير البيبليّ في الكنيسة**[٢] في روما بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٩٣. تعرض هذه الوثيقة اثنتَي عشرة طريقة ممكنة ومعتمدة في الكنيسة لقراءة نصّ من الكتاب المقدّس. تتوزّع القراءات الاثنتي عشرة على خمس مجموعات:

١– المنهجيّة التاريخيّة–النقديّة

٢– التحليل الأدبيّ

٣– مقاربات مستندة على التقليد

٤– مقاربات بواسطة العلوم الإنسانيّة

٥– مقاربات تنطلق من الإطار الاجتماعيّ

أوّلاً: المنهجيّة التاريخيّة–النقديّة

تشمل هذه المنهجيّة طريقة واحدة تسمّى القراءة التاريخيّة–النقديّة. بدأت هذه المنهجيّة مع ريشار سيمون في القرن السابع عشر حيث طُرحَت هويّة كاتب أسفار الشريعة الخمسة ومسألة التقاليد في سفر التكوين وفي الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدّس. تعمل هذه المنهجيّة على عدّة مستويات، منها مستوى نقد النصوص والنقد الأدبيّ والتاريخيّ.

يهدف نقد النصوص إلى اختيار الشاهد الذي كان في أساس الشواهد المختلفة في المخطوطات القديمة التي تورد نصًا كتابيًا معيّنًا يحتوي دروسًا مختلفة.

يتطرّق النقد الأدبيّ–التاريخيّ إلى شرح الكلمات الصعبة ضمن إطارها التاريخيّ (مثلاً معنى كلمة "عشّار"، "الخروج من مصر"، الخ)، وإبراز "المستويات" الكتابيّة، أي ما يُسمّى "طبقات النصّ"، من خلال العودة (الفرضيّة في معظم

(٢) **التفسير البيبليّ في الكنيسة**، وثيقة اللجنة البيبليّة الحبريّة، المركز البيبليّ الرعائيّ، جبيل، ١٩٩٥، تعريب جرجس خليفة.

Commission biblique pontificale, *L'interprétation de la Bible dans l'Eglise*, Paris, Cerf, 1994.

الأحيان) إلى الرواية الأساسيّة الشفهيّة التي استعملها الرواة على مختلف الأجيال والتطوّرات التي طرأت عليها حتّى وصلت إلى كتابتها النهائيّة (النص الذي وصلنا)، وتحديد الأساليب (أو الأنواع) الأدبيّة وخصائصها (مثل، شفاء، عظة، سرد تعليميّ، أسلوب رؤيويّ، أقوال نبويّة...).

تحاول هذه الطريقة وضع النصّ في إطاره التاريخيّ. تسعى للوصول إلى ما كان يريد الكاتب قوله للذين كان يتوجّه إليهم. تصوّر حالة الجماعة (مشكلاتها، طريقة تنظيمها...) من خلال الزيادات التي تظهر في ما يُسمّى طبقات النصّ.

المنهجيّة التاريخيّة–النقديّة طريقة ضروريّة للدراسة العلميّة للنصّ القديم (النصّ بالطبع هو موحى من الله ولكنّه كُتب بأيدٍ بشريّة وفي بيئة معيّنة). خطورتها أنّها تتعلّق في أكثر الأحيان بطريقة تفكير الذي يستعملها؛ فيجب بالتالي أن تبقى بقدر الإمكان "موضوعيّة". هناك خطورة ثانية تكمن في أنّها لا تأخذ النصّ في حالته النهائيّة؛ إنّها تشرّحه لتصل إلى النواة الأصليّة في النصّ وتنسى أنّ النصّ ملهم بشكله النهائيّ الذي وصلنا.

ثانيًا: منهجيّة التحليل الأدبيّ

إذا كانت المنهجيّة التاريخيّة–النقديّة تدرس النصّ بشكل تزامن متحرّك ومتطوّر (diachronique)، فالتحليل الأدبيّ يأخذ النصّ في حالته النهائيّة (synchronique). تضمّ هذه المنهجيّة ثلاث قراءات: التحليل البلاغيّ والتحليل الإخباريّ أو السرديّ والتحليل السيميائيّ.

١– التحليل البلاغيّ

هناك نوعان من البلاغة يظهران في البيبليا: البلاغة اليونانيّة والبلاغة الساميّة. يعتبر معظم شارحي رسائل مار بولس بأنّها مبنيّة بحسب البلاغة اليونانيّة بالإضافة إلى الفنّ الرسائليّ. يتكوّن النصّ البليغ بحسب البلاغة اليونانيّة من مقدّمة، وصلب الموضوع، وخاتمة؛ وكلّ قسم منها له تركيبته الخاصّة. أمّا البلاغة الساميّة فتُركّز على "الشكل". الشكل هو المدخل إلى المعنى. يحاول هذا التحليل

درس كيفيّة توزيع عناصر النصّ وتكرار المفردات أو المرادفات إن في ترتيب محوريّ أو في ترتيب متوازٍ. البلاغة هي فنّ تركيب خطاب أو سرد قصّة بشكل مقنع. نصوص الكتاب المقدّس مكتوبة لهذا الغرض: إقناع إيمانيّ، رواية خبرة إيمانيّة تشجّع الآخرين على تبنّي إيمان الكاتب.

التحليل البلاغيّ طريقة قادرة على إعطاء معانٍ جديدة للنصوص. والخطورة تكمن في البقاء على الأسلوب الخارجيّ (الشكل) وعدم استخلاص المعنى.

٢- التحليل السرديّ

يركّز هذا التحليل على طريقة فهم مضمون النصّ الكتابيّ وطريقة إيصاله، أي مشاركة الآخرين فيه. فالكتاب المقدّس بعهديه هو رواية تاريخ الخلاص بسرد يصبح إعلانًا للإيمان وإيصالاً لهذا الإيمان بشكل تعليم. من هنا تأتي أهمّيّة هذا التحليل. تتبع طريقة التحليل السرديّ تطوّر القصّة: عقدة النصّ، الأشخاص، رأي الشخص الذي يخبر... يدرس هذا التحليل الطريقة التي فيها تُسرد القصّة بشكل يؤدّي إلى التزام السامع في عالم الرواية وفي القيم المطروحة فيها. لا يتطرّق هذا التحليل إلى التطوّر العقائديّ النابع من المعطيات الكتابيّة.

٣- التحليل السيميائيّ

لا ينفي التحليلان السابقان (البلاغيّ والسرديّ) العودة إلى الإطار الكتابيّ الذي يرد فيه النصّ؛ لا بل يدرسان النصّ انطلاقًا من هذا الإطار. على العكس، لا يخرج التحليل السيميائيّ من النصّ لأنّه يعتبر أن لا خلاص خارج النصّ. كلّ نصّ هو عالم معنويّ متكامل بحدّ ذاته. يُحدّد المعاني الواردة فيه ويعتبر بمعنى مجازيّ أن لا حاجة لاستعمال القاموس. بل أكثر من ذلك، لا يأخذ التحليل السيميائيّ بعين الاعتبار لا الكاتب ولا تاريخ النصّ ولا الأشخاص الذين يتوجّه إليهم... يظهر المعنى من خلال التناقضات والمعاكسات الواردة في النصّ؛ وعلى المحلّل أن يكتشفها في النصّ.

خطورة هذا التحليل تأتي أوّلاً من صعوبة تحديد "حدود النصّ"، وثانيًا من أنّ النصّ الكتابيّ لا يُفهم إلاّ في إطار الكتاب المقدّس بجملته إن لم نقل في إطار يتخطّى الكتاب المقدّس. فالتحدّث مثلاً عن الشريعة في نصّ معيّن يجب أن يأخذ بعين الاعتبار نصوصًا وتقاليد أخرى.

ثالثًا: مقاربات مستندة على التقليد

تختلف المنهجيّة الأدبيّة عن المنهجيّة التاريخيّة–النقديّة. فالمنهجيّة الأدبيّة تعطي أهمّيّة كبرى للوحدة الداخليّة في النصوص المدروسة على عكس المنهجيّة التاريخيّة–النقديّة. الكاتب النهائيّ ملهم وقد وضع ترتيبًا معيّنًا للنصّ ليُعطيه معنى. ولكنّ هذه المقاربات تبقى غير كافية لشرح الكتاب المقدّس لأنّ البيبليا ليست مجموعة وحدات مختلفة جُمعت دون رابط بينها. النصوص الكتابيّة هي مجموعة شهادات تدخل في إطار تقليد كبير. فيجب بالتالي على شارح الكتاب المقدّس أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة. من هنا تأتي أهمّيّة المقاربات التي ترتكز على التقليد: المقاربة القانونيّة والمقاربة من خلال التقاليد اليهوديّة والمقاربة من خلال تاريخ مفاعيل النصّ.

١– المقاربة القانونيّة

تشرح هذه المقاربة النصّ الكتابيّ على ضوء "قانون الكتاب المقدّس" يعني الكتاب المقدّس كقانون إيمان في جماعة المؤمنين. المنهجيّة التاريخيّة–النقديّة لا تستطيع أحيانًا الوصول إلى المستوى اللاهوتيّ في خلاصتها. أمّا المقاربة القانونيّة التي ظهرت في الولايات المتّحدة منذ حوالي ثلاثين سنة تحاول الوصول إلى خلاصة لاهوتيّة في الشرح انطلاقًا من إطار الإيمان الذي هو الكتاب المقدّس بمجمله. تضع هذه المقاربة كلّ نصّ في خطّ مشروع الله الخلاصيّ الوحيد في هدف الوصول إلى تأوين الكتاب المقدّس اليوم في عصرنا الحاضر. لا تحلّ هذه المقاربة محلّ القراءة التاريخيّة–النقديّة ولكنّها تحاول تتميمها.

النصّ الكتابيّ أو السفر البيبليّ لا يكون "قانونيًّا" إلاّ مع الكتب الأخرى. قانونيّته تأتي على ضوء قانونيّة الكتب الأخرى مجموعة. من هنا يأتي دور الجماعة ودور تأوين النصّ البيبليّ. فالجماعة المؤمنة هي الإطار الملائم لشرح النصوص القانونيّة لأنّ هذه النصوص هي ثمرة إيمان هذه الجماعة؛ وفي الوقت نفسه تكون الجماعة ثمرة مضمون هذه الكتب. هكذا يمكننا أن نفهم السلطة الكنسيّة في شرح الكتب. أمّا الصعوبة التي تُطرح فناتجة عن تحديد "قانون الكتاب المقدّس": هناك القانون اليهوديّ للعهد القديم الذي يتبنّاه البروتستانت وهناك قانون السبعينيّة الذي يتبنّاه الكاثوليك.

٢- المقاربة بالعودة إلى منهجيّة التفسير في التقاليد اليهوديّة

تقرأ الكنيسة العهد القديم على ضوء الحدث الفصحيّ (موت يسوع المسيح وقيامته) الذي يعطي معنى جديدًا وسلطة قويّة لكتب العهد القديم ومعنى نهائيًّا لها. يدخل هذا المعنى الجديد في صميم الإيمان المسيحيّ. لكن عليه أن لا ينفي التفسير القانونيّ التقليديّ في اليهوديّة الذي يسبق الحدث الفصحيّ لأنّه يجب أن نحافظ على فرادة كلّ مرحلة من مراحل تاريخ الخلاص.

العهد القديم والتقليد اليهوديّ هما مكان نشأة العهد الجديد والكنيسة. في هذا الإطار بدأ تفسير الكتب. تسمح لنا التقاليد اليهوديّة أن نفهم الترجمة السبعينيّة التي أصبحت الجزء الأوّل من الكتاب المقدّس في الكنيسة الكاثوليكيّة. أيضًا، هناك الكتابات اليهوديّة "بين العهدين" التي هي نبع مهمّ لشرح العهد الجديد.

تبقى التقاليد اليهوديّة وغناها في خدمة الكتاب المقدّس بعهديه شرط أن تُستعمل بشكل صحيح. نذكر من هذه التقاليد مثلاً الأعياد اليهوديّة، ومفهوم النبوّة والمسيحانيّة، ومفهوم ألقاب يسوع؛ إنّها تساعد على فهم أعمال يسوع وأقواله. والأساسيّ يكمن في عدم الاكتفاء بهذه التقاليد دون فهم فرادة يسوع المسيح في تتميمها بالملء.

٣- المقاربة بواسطة تاريخ مفاعيل النصّ

هناك مبدأان لهذه المقاربة: (١) لا يصبح النصّ عملاً أدبيًّا إلاّ إذا وُجد قرّاء يعطونه حياة ويتبنّونه؛ (٢) تبنّي النصّ، بشكل فرديّ أو جماعيّ، يُساهم في فهم أعمق للنصّ بحدّ ذاته.

ترتكز هذه المقاربة على العلاقة القائمة بين النصّ وقرّائه وعلى أثره عليهم وطريقة فهمهم له. يُحدث النصّ ردّة فعل عند قارئه، فردًا كان أم جماعة. تدرس هذه المقاربة طريقة تطوّر معنى النصّ أو الكتاب على مرّ العصور: إن في داخل الكتاب المقدّس أو مع الآباء أو من خلال تاريخ الكنيسة (قصّة نوح وتطوّرها في الكتاب المقدّس، كتاب نشيد الأناشيد، قصّة آدم وحوّاء التي أوصلت مفهوم الخطيئة الأصليّة، "بع كلّ ما لك واتبعني"، وفهم القدّيس أنطونيوس لها...).

هناك خطر في هذه الطريقة، وهو الهرطقات التي كانت ترتكز أيضًا على الكتاب المقدّس. يجب إذًا التمييز في طرق شرح النصوص عبر العصور لأنّ فيها ما هو مغلوط (مثلاً: مسألة "المصير المسبق" التي استُخلصت من روم ٨: ٢٨-٣٠؛ متّى ٢٥: ٣٤ و٤١).

رابعًا: مقاربات بواسطة العلوم الإنسانيّة

تجذّرت كلمة الله في حياة شعب وأخذت طريقها (كتابةً وفهمًا) ضمن مميّزات سيكولوجيّة واجتماعيّة لمختلف الأشخاص الذين كتبوها أو تناقلوها شفهيًّا قبل كتابتها. فالعلوم الإنسانيّة لها دور مهمّ في شرح هذه الكلمة.

١- المقاربة الاجتماعيّة

النصوص الكتابيّة (الدينيّة عامة) مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمجتمعات التي وُلدت فيها. الدرس النقديّ للكتاب المقدّس يتطلّب إذًا معرفة دقيقة، قدر المستطاع، للعادات الاجتماعيّة التي كانت تُحيط به (مثلاً: ثقب السقف في أعجوبة المخلّع، سفر التكوين وتأثير الديانات والأساطير المجاورة عليه، عدم اختيار يسوع نساء

ليَكُنَّ في عداد الاثني عشر). لكنّ هذه المعرفة تبقى محدودة وفي أكثر الأحيان نظريّة. تجدر الملاحظة أخيرًا أنّ المقاربة الاجتماعيّة تُعير انتباهًا إلى الوجه الاقتصاديّ أكثر منه إلى الأبعاد الشخصيّة والدينيّة.

٢- مقاربة بواسطة الانتروبولوجيا الثقافيّة

هذه المقاربة هي على علاقة وثيقة بالسابقة مع التركيز أكثر على الوجه الشخصيّ والدينيّ. إنّها مقاربة ضروريّة لفهم النصوص الكتابيّة وبخاصة لفهم أهمّيّة السلالة والنسب في العهد القديم ودور المرأة في المجتمع الإسرائيليّ وتأثير الطقوس الزراعيّة (كتقديم البواكير) وفهم معظم التفاصيل الواردة في أمثال يسوع.

هذه المقاربة تجعلنا نميّز بين ما هو ثابت في الرسالة البيبليّة وما هو متأصّل في الطبيعة البشريّة من جهة، وبين ما هو متحوّل ومرتبط بثقافات معيّنة، من جهة أخرى. هذه المقاربة، كما المقاربات الأخرى، لا تستطيع لوحدها إبراز كلّ المعطيات المتعلّقة بالوحي.

٣- مقاربات بواسطة علم النفس والتحليل النفسيّ

خلق تطوّر العلوم النفسيّة وتركيبة اللاوعي محاولات جديدة لشرح النصوص القديمة ومنها الكتاب المقدّس. تحمل هذه العلوم غنى كبيرًا لشرح الكتاب المقدّس الذي يحتوي على خبرات حياتيّة وقواعد تصرّفات بشريّة. الإنسان بطبيعته يسعى إلى الماورائيّات، إلى المُثُل. الدين يؤمّن له ذلك ولكن هناك خطورة في أن يصبح الدين على شكل الإنسان عوض أن يصبح الإنسان على حسب أبعاد الدين.

هناك تحاليل رائعة لنصوص الكتاب المقدّس بحسب هذه الطريقة؛ منها: مثل الابن الشاطر، شفاء ابنة قائد المئة، وإحياء ابن أرملة نائين، إبراهيم ومحرقة اسحق، الشعب الخارج من العبوديّة، لقاءات يسوع مع الأشخاص في إنجيل يوحنّا (مثلاً نيقوديموس، السامريّة...).

في المقابل، نجد أيضًا انحرافات ناتجة عن تفاسير وتحاليل تخرج عن إطار ما يريد النصّ إظهاره؛ منها: لعازر مات لأنّ يسوع لم يكن موجودًا ("لو كنت ههنا لما مات أخي")؛ فهذا فُسّر بأنّ لعازر كان لوطيًّا (أي مثليّ الجنس)؛ تفسير القيامة بأنّها كانت من نسج خيال التلاميذ، لأنّ شوقهم جعلهم يرفضون فناء معلّمهم؛ تخفيف من مسؤوليّة الإنسان تجاه الخطيئة، باعتبار أنّ التأثيرات النفسيّة والخارجيّة لا تجعله حرًّا في اختياره.

خامسًا: مقاربات تنطلق من الإطار الحاليّ

يتعلّق شرح النصّ دائمًا بمنطق القارئ واهتماماته. فالقارئ يهتمّ بنواحٍ معيّنة من النصّ ويترك، دون قصد منه، نواحي أخرى. من هنا تأتي مقاربات وقراءات مختلفة للنصّ على حسب التيّارات الفكريّة المعاصرة وعلى حسب حالة القارئ والجوّ المحيط به.

١ – مقاربة تحرّريّة

لاهوت التحرّر هو خطّ لاهوتيّ انطلق من أميركا اللاتينيّة منذ حوالي أربعين سنة. يتطرّق إلى الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة القاسية التي يمرّ بها سكّان أميركا الجنوبيّة. وبعد ذلك توسّع إلى قارات أخرى وبخاصة تلك التي تُعاني الظلم والاضطهادات (آسيا، أفريقيا، الشعوب السوداء في أميركا).

لا ترتكز المقاربة التحرّريّة على شرح موضوعيّ للنصّ الكتابيّ ولما يقوله النصّ في إطاره الأساسيّ التاريخيّ. إنّها تبحث عن قراءة تنطلق من الوضع الذي يعيشه الشعب. إذا كان الشعب يعيش حالة من الهيمنة والأوضاع الحياتيّة الصعبة يعود الشعب إلى الكتاب المقدّس ويبحث فيه عن غذاء يستطيع أن يعضده في صراعه وفي رجائه. تركّز هذه القراءة أكثر ما تركّز على مواضيع الخلاص والحرّيّة؛ منها: الله مخلّص إسرائيل من العبوديّة؛ يسوع المخلّص؛ الأسرى يُطلقون والمساكين يُبشّرون؛ معنى الصليب...

المبدأ الأساسيّ لهذه المقاربة هو أنّ الله حاضر لشعبه عبر تاريخه ليخلّصه. إنّه إله الفقراء والمساكين، لا يسمح بالظلم ولا بالضغوطات. لذلك لا يمكن لشرّاح الكتاب المقدّس أن يقفوا موقف المتفرّج؛ عليهم أن يأخذوا موقفًا كموقف الله مع الفقراء والمهمّشين وأن يجاهدوا في سبيل تحرير المستضعفين.

خطورة هذه المقاربة تكمن في جعل الملكوت فقط ملكوتًا أرضيًّا ونسيان البُعد الإسكاتولوجيّ للخلاص. هناك عدم فهم معنى "الفقراء" في الكتاب المقدّس وجعل الكتاب المقدّس في أساس الماركسيّة.

٢- مقاربة نسائيّة

ليست المقاربة النسائيّة طريقة قراءة بحدّ ذاتها، إنّها محاولة لفت نظر إلى أشياء يقولها النصّ، وفي بعض الأحيان إلى أشياء لا يقولها.

هناك خطّ نسائيّ بدأ في الولايات المتّحدة في نهاية القرن التاسع عشر، خطّ تحرير المرأة. وصل هذا الخط في بادئ الأمر إلى رفض الكتاب المقدّس لأنّه كُتب بواسطة رجال يريدون السيطرة على المرأة أو أقلّه يعتبرون المرأة دون مستوى الرجل. فتركيبة الكتاب المقدّس تركيبة آبائيّة (نوح، إبراهيم، إسحق، موسى...).

في المقابل هناك خطّ نسائيّ آخر منفتح. يركّز هذا الخطّ على البُعد النسائيّ في الكتاب المقدّس وعلى ما لا يقوله النصّ. يسوع جاء لتحرير المستضعفين ومن بينهم المرأة. من مجمل ما يُلقي عليه الضوء نرى مثلاً: "الكلمة صار بشرًا (جسدًا أو لحمًا)"، أي صار "إنسانًا" وليس "رجلاً"؛ يسوع لم ينفِ كهنوت المرأة؛ التركيز على أمومة الله؛ يريد يسوع أن يجمع بني أورشليم كما تجمع الدجاجة صغارها تحت جناحيها؛ نزع مسؤوليّة السقطة عن حوّاء وحدها؛ لو كان للابن الشاطر أمّ لما ترك البيت؛ دور المرأة في حياة يسوع وعلاقته بها: أمّه في عرس قانا، أرملة نائين أمّ لابن وحيد، مريم تسأل يسوع بشأن أخيها لعازر.

خاتمة

هناك طرق تفسير متعدّدة تدخل في إطارَين كبيرَين: تأويل النصّ وتأوينه. مسائل متعدّدة تركّز على المعنى الحرفيّ أو على المعنى الرمزيّ أو المعنى الروحيّ. ليس هناك من طريقة يمكنها لوحدها أن تعطي المعنى الكامل للنصّ الكتابيّ وكلّ الغنى الذي يحمله. إنّها تترك في الظلّ أوجهًا عديدة من النصّ ومن معانيه.

خروج الكتاب المقدّس عن "الاحتواء المطلق" ناتج عن طبيعة الإلهام فيه. إذا توصّلت أنا اليوم إلى معرفة المعنى الكامل فهذا يعنى أنني أحصر النصّ باليوم الحاضر، وأنفي أنّه كلّم الأجيال السابقة، وأنّه يستطيع أن يطاول الأجيال الآتية. الروح يترك النصّ والتفسير مفتوحَين.

حقل كلمة الربّ شامل وعالميّ وغير مرتبط ببيئة أو محصور بحضارة معيّنة. فهم كلمة الربّ في الإطار التاريخيّ الذي كُتبت فيه ضروريّ جدًّا، ولكنّه لا ينفي أنّ كلمة الله تقول لنا أشياء كثيرة اليوم في عالمنا الحاضر، ومهما كانت ثقافتنا وحضارتنا. من هنا تأتي ضرورة الانثقاف بحسب تقاليد كلّ شعب. تفسيرنا للكتاب المقدّس هو نقطة في بحر. ضروريّ جدًّا أن نعي هذه الحقيقة ونبقى منفتحين على سائر الأبعاد.